

سورة الإسراء

﴿الآيات: 73 - 77﴾

الدرس

19

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف نعم الله تعالى على نبيه ﷺ وعصمته من فتن المشركين.
- 2- أن أستنتج أسباب تخطيط المشركين لإخراج النبي ﷺ من مكة.
- 3- أن أستحضر عناية الله تعالى بعباده وحفظهم من كل سوء.

تمهيد

لما عدد الله تعالى نعمه على خلقه في الآيات السابقة ووضح درجاتهم؛ أخبر سبحانه في هذه الآيات عن تأييده لرسوله ﷺ مع التأكيد على عصمته من المشركين وخداعهم حين حاولوا التلبس عليه ﷺ وصرفه عن شريعة الله تعالى، وحمله على تعديل وحي الله وإقرار ما يعبدونه من دون الله. فكيف عصم الله تعالى رسوله ﷺ من فتنة المشركين؟ وما هي عاقبة من يحارب الله ورسوله؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا الْحَيَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَةً وَإِلَّا لَا تَخْذُلْهُمْ خَلِيلًا ۚ ۞ ٧٣ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُزُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا فَلْيَلَّ ۚ ۞ ٧٤ إِذْ أَلَّانَا فَتَلَّامُ ضَعْفَ الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَنَا عَلَيْكَ نَصِيرًا ۚ ۞ ٧٥ وَإِنْ كَانُوا لَا يَشْتَعِرُونَ إِلَّا مِنْ آلٍ هُنَّ لَكُمْ رَحِيمٌ وَإِلَّا يَلْبَثُوا خَلْقًا ۚ ۞ ٧٦﴾

سُنَّة مَرْفَدٍ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾

[سورة الإسراء: 73 - 77]

الفهم

الشرح :

كَأَمْوًا : قاربوا.
لَيَقْتُنُونَا : يزيلونك ويصرفونك.
لَتَبْتَغِي عَلَيْنَا غَيْرًا : لتختلق علينا غير ما أوحينا إليك.
تَرْكُزُ : تميل وتسكن.

استخلاص المضامين :

- 1- ما هو مكر المشركين بالنبي ﷺ الوارد في الآيات؟
- 2- ما هي خطة المشركين الثانية بعد فشل خطتهم الأولى؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولاً: محاولة المشركين فتنه النبي ﷺ:

بين الله تعالى في هذه الآيات محاولة المشركين فتنه الرسول ﷺ، فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَقْتُنُونَا عَلَيَّ الْخِيَا أَوْ حِينَئِذٍ لَنَبْتَغِيَ عَلَيْكَ غَيْرًا﴾، هذه عند سيبويه هي المخففة من الثقيلة، واللام في قوله: ﴿لَيَقْتُنُونَا﴾ لام تأكيد، و﴿إِنْ﴾ هذه عند الفراء بمعنى ما، واللام بمعنى إلا.

والضمير في قوله ﴿كَانُوا﴾ قيل: هو لقريش وقيل: لتقيف.

فأما على القول بأنه لقريش فقال ابن جببر ومجاهد: نزلت الآية لأنهم قالوا لرسول الله ﷺ: لا ندعك تستلم الحجر الأسود حتى تمس أيضا أوثاننا، على معنى التشرع بذلك. قال الطبري وغيره: فهم رسول الله ﷺ أن يظهر لهم ذلك وقلبه منكر، فنزلت الآية في ذلك.

قال الزجاج: فقال رسول الله ﷺ في نفسه: "وما علي أن أفعل لهم ذلك والله تعالى يعلم ما في نفسي". وقال ابن إسحاق وغيره: إنهم اجتمعوا إليه ليلة فعظموه وقالوا له: أنت سيدنا ولكن أقبل على بعض أمرنا ونقبل على بعض أمرك، فنزلت الآية في ذلك. فهي في معنى قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْلَا آلُتُوتَهُمْ قَبْلَ يَعْنُوتُ﴾ [القلم: 9].

وأما على القول بأنه لتقيف فقال ابن عباس وغيره: لأنهم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يؤخرهم بعد إسلامهم سنة يعبدون فيها اللات، وقالوا: إنا نريد أن نأخذ ما يهدى لنا، ولكن إن خفت أن تتكر ذلك عليك العرب فقل: أوحى الله ذلك إلي، فنزلت الآية في ذلك. وهذا القول ضعيف يلزم قائله أن يجعل الآية مدنية، وقد روي ذلك. وروى قائلو الأقوال الأخرى أنها مكية.

قال ابن عطية: وجميع ما أريد من النبي ﷺ بحسب هذا الاختلاف قد أوحى الله إليه خلافه، إما في معجز وإما في غير معجز، وفعله هو أن لو وقع افتراء على الله، إذ أفعاله وأقواله إنما هي كلها شرع.

وقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُمُ الْوَحْيَ﴾ توقيف على ما نجاه الله منه من مخالفة الكفار والولاية لهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَئِلَ لَفَدَّتْ وَكُنَّ بِأَيْمِهِمْ شَيْءًا فَلِيلًا﴾ و﴿وَلَوْلَا﴾ حرف امتناع لوجود، أي: يقتضي امتناع جوابه لوجود شرطه، " وجواب لولا يقتضي إذا كان مثبتا امتناعه لوجود ما قبله؛ فعلى هذا مقاربة الركون لم تقع منه ﷺ فضلا عن الركون، والمانع من ذلك هو وجود تثبيت الله تعالى " [البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان: 7/ 90]. و﴿تَبْتَئِلَ﴾ من التثبيت: وهو جعل الشيء ثابتا، وهو مستعار للبقاء على حاله غير متغير. و﴿وَكُنَّ﴾ أي: قاربت.

وفي الآية تعديد نعم الله على النبي ﷺ. وروي أن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية قال: " اللهم لا تكن لي إلى نفسي طرفة عين ."

قال ابن عطية: على معنى أن ما يستحقه هذا المذنب من عقوبتنا في الدنيا والآخرة كنا نضعفه لك. وهذا التضعيف شائع مع النبي عليه السلام في أجره وفي ألمه وعقاب أزواجه.

لما بين الله تعالى عصمته للنبي ﷺ ويأس المشركين من إمكان استدراجه ﷺ إلى الانحراف بالدعوة عما أوحى الله به إليه؛ أتبع ذلك ببيان محاولتهم إزعاجه واستفزازه ﷺ ليخرجوه من مكة، فقال تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا لَا يَشْتَغِرُونَكَ مِنَ الْإِثْمِ الَّذِي يَخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِلَّا فَكَانَ لِقَابُكَ عَلَيْهِمْ يُبْعَدُ الْوَلَدُ الْمَرْجُومُ﴾. قيل: الضمير في ﴿كَانُوا﴾ لليهود المدينة وناحيتها، كحيي بن أخطب وغيره؛ وذلك أنهم ذهبوا إلى المكر برسول الله ﷺ فقالوا له: إن هذه الأرض ليست بأرض الأنبياء، وإنما أرض الأنبياء بالشام، ولكنك تخاف الروم، فإن كنت نبيا فاخرج إليها، فإن الله سيحميك كما حمى غيرك من الأنبياء؛ فنزلت الآية في ذلك. وأخبر الله عز وجل أن رسول الله ﷺ لو خرج لم يلبثهم بعده إلا قليلا.

142

خرج واتبعوه إلى الغار وغير ذلك. ونفذ عليهم الوعيد في أن لم يلبثوا خلفه إلا قليلا يوم بدر. وقوله: ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ على هذا القول عام في الدنيا، كأنه قال: ليخرجوك من الدنيا. وعلى سائر الأقوال هي أرض مخصوصة إما مكة وإما المدينة، كما قال تعالى: ﴿أَوْ يَنْبِقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [المائدة: 35]، فإنما معناه من الأرض التي فيها تصرفهم.

ثم بين الله سبحانه وتعالى أن هذه هي سنته في الأمم السابقة، فقال تعالى: ﴿سُنَّةَ مَرَفَدَ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ قوله ﴿سُنَّةَ﴾ نصب على المصدر. وقال الفراء: نصبه على حذف الخافض؛ لأن المعنى كسنة، فحذفت الكاف ونصب، ويلزمه على هذا أن لا يقف على قوله ﴿قَلِيلًا﴾.

ومعنى الآية: الإخبار أن سنة الله تعالى في الأمم الخالية وعادته، أنها إذا أخرجت نبيها من بين أظهرها نالها العذاب، واستأصلها الهلاك؛ فلم تلبث بعده إلا قليلا.

ثالثا: مقاصد الآيات:

تروم هذه الآيات تحقيق جملة من المقاصد التربوية، منها ما يأتي:

- تعداد نعم الله تعالى على رسوله ﷺ ولطفه به وعصمته له من فتن المشركين ومكائدهم، إذ ظنوا أنهم بهذه المكائد والخدع سيصرفون النبي ﷺ عما أوحى الله تعالى به إليه، ويزينون له اختراع ما لم ينزله سبحانه عليه، فيقرهم على ما هم عليه من عبادة الأصنام والأوثان.
- التأكيد على أهمية استحضار الإنسان فضل الله تعالى عليه، وإرشاده إلى طريق الحق والصواب، واستشعار خشيته سبحانه والثبات على العقيدة الصحيحة.
- تحقيق نصر الله تعالى لأنبيائه ورسوله الداعين إلى الحق؛ فقد وعدهم الله تعالى بنصره، وعصمهم من أذى المعتدين الذين وعدهم بالهلاك والعذاب، تلك هي سنة الله تعالى في خلقه، فلن تجد لها تبديلا ولا تغييرا.

التقويم

- 1 - أستنتج من الآيات أثر نعمة الله تعالى على رسوله ﷺ وعلى أمته.
- 2 - أبين هل هم النبي ﷺ بالركون إلى مطالب المشركين، اعتماداً على معنى ﴿لَوْلَا﴾؟
- 3 - ما هي عاقبة إخراج النبي ﷺ من مكة على المشركين؟ وما علاقة ذلك بسنن الله تعالى في الأمم السابقة؟

الاستثمار

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كِدَّتْ تَرْكُزُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 74] "أَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ ثَبَّتَهُ وَقَرَّرَ التَّوْحِيدَ وَالْمَعْرِفَةَ فِي قَلْبِهِ، وَضَرَبَ عَلَيْهِ سُرَادِقَ الْعِصْمَةِ وَأَوَاهُ فِي كَنْفِ الْحُرْمَةِ. وَلَوْ وَكَلَهُ إِلَى نَفْسِهِ وَرَفَعَ عَنْهُ ظِلَّ عِصْمَتِهِ لَحِظَةً لَأَلَمَ بِمَا رَامُوهُ، وَلَكِنَّا أَمَرْنَا عَلَيْكَ بِالْمُحَافَظَةِ، وَأَشْرَقْنَا بِنُورِ الْهُدَايَةِ فُؤَادَكَ فَاسْتَبْصَرَ، وَأَزَحَ عَنْكَ الْبَاطِلَ وَادْحَرُ. فَهَذِهِ الْآيَةُ نَصٌّ فِي عِصْمَتِهِ مِنْ كُلِّ مَا نُسِبَ إِلَيْهِ، فَكَيْفَ يَتَأَوَّلُهَا أَحَدٌ؟". [أحكام القرآن، لابن العربي: 3/ 306]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

- كيف أرد من خلال النص على ما جاء في بعض كتب التفسير من أن النبي ﷺ هم بالركون إلى المشركين واقترب من تنفيذ ما يطلبونه؟

أتأمل الآيات: 78 - 80 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

- 1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: **مُلُوكِ الشَّمْسِ** - **غَسَوِ الْيَلِ** - **فُرْعَانَ الْعَجْرِ**.
- 2- كيف تؤثر المداومة على الصلاة في تهذيب النفوس وتزكيتها؟
- 3- أبحث عن أثر الاختلاف في معنى **﴿مُلُوكِ الشَّمْسِ﴾** في تفسير قوله سبحانه: **﴿أَفِمِ الصَّلَاةِ لِمُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَوِ الْيَلِ﴾**؟